الفصل الخامس:

الجبهة السورية في الحرب

نظيمة سعد الدين

بالرغم من حداثة عمر الجيش السوري، فإنه شارك في " جيش الإنقاذ "، رغم ضعف تدريب المقاتلين السوريين، وبدائية تسليحهم. وقد نفذ الجيش الفتي الأوامر، واقتحم منطقة تغص بالاستحكامات الحصينة، واحتل سمخ، ومستعمرة مسادة، ما جعله الجيش العربي الوحيد، الذي عمل على احتلال أراضي خارج نطاق الأراضي المخصصة للدولة العربية، تبعًا لقرار التقسيم.

خلفية سياسية:

لقد اعترف، رسميًا باستقلال لبنان وسورية، عام ١٩٤١، لكن امتيازات السيادة الجوهرية - وهى السلطتان التشريعية والتنفيذية والسيطرة علىالقوات المسلحة - كان لابد من انتزاعها - شيئًا فشيئًا من الفرنسيين، خلال السنوات الأربع التالية. وعندما طلبت الحكومتان السورية واللبنانية بصورة خاصة ترحيل القوات الخاصة بالشرق - وهى قوات مؤلفة من بضعة آلاف شكلها الفرنسيون من الأقطار التابعة لهم - حالاً وسريعًا، وهى الخطوة الوحيدة التى تجعل الحكم الذاتى فعالاً، إذا سمح بتشكيل جيوش وطنية [١].

---

(١) باتريك سيل، الصراع على سورية، دراسة للسياسة العربية (١٩٤٥ - ١٩٥٨)،

أصر الفرنسيون على تعليق ترحيل تلك القوات، بعقد معاهدة تربط سورية بالفرنسيين، وهذا إحتلال حسم بشكل دموى، حين قامت القوات الفرنسية باعتداءاتها العلنية على المدنيين السوريين، الذين دعم موقفهم قوات الضباط والجنود الهاربون من (القوات الخاصة بالشرق)، والدرك [١].

ظلت القوات المسلحة الأجنبية ترابط في أراضي سورية. وبقيت أهم الدوائر الاقتصادية، والسياسية في أيدي السلطات البريطانية والفرنسية. وأجرت بريطانيا وفرنسا مفاوضات ما وراء الكواليس، وعقدتا في ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٥، اتفاقية قضت بمواصلة احتلال سوريا ولبنان، بصورة مشتركة [٢].

في مستهل ١٩٤٦، طلبت حكومتا سوريا ولبنان من مجلس الأمن الدولي اتخاذ قرارً بجلاء القوات المسلحة الأجنبية من أراضيهما على الفور، وقد دعم الوفد السوفييتي مطلب لبنان وسورية، بقوة وحزم. وحاولت فرنسا وبريطانيا، بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، أن تعرقل بشتى الوسائل، حل المسألة حلاً إيجابيًا في مجلس الأمن ومع ذلك اضطرت بريطانيا وفرنسا، في جو نهوض النضال ضد الإمبريالية، وبفضل المساندة الدبلوماسية الدائبة التي قدمها الاتحاد السوفييتي لسورية

(ترجمة سمير عبده - محمود فلاحه)، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص٤٤.

(١) **المصدر نفسه**، ص٤٤، ٤٥.

(٢) **تاريخ الأقطار العربية المعاصر (١٩١٧ - ١٩٧٠) الجزء الأول**، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، معهد الاستشراق، ترجمة دار التقدم، ١٩٧٥، ص١٠٢.

ولبنان، وبفضل ضغط الرأي العام العالمي إلى الموافقة في آذار/ مارس ١٩٤٦، على إجلاء قواتهما من أراضي هذين البلدين، وكان ذلك انتصارًا كبيرًا للشعبين السوري واللبناني، وفتح صفحة جديدة في تاريخهما في ١٧ نيسان/ إبريل ١٩٤٦، غادر آخر جندي أجنبي أراضي سورية [١].

بعد جلاء القوات الاجنبية:

رغم نيل الإستقلاء السياسي، بقيت سورية هدفًا لمطامع الدول الإمبريالية، وتطلعاتها التوسعية. وقد أخذت الاحتكارات الأمريكية تحيك الخطط لبناء خط لأنابيب البترول من العربية السعودية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، عبر أراضي سورية. وبذلت الاحتكارات الفرنسية جهدها للاحتفاظ بمواقعها في إقتصاد سوريا. وسعيًا لزحزحة فرنسا، حاولت بريطانيا تنفيذ خطة توحيد البلدان العربية، تحت إشرافها، وإنشاء " سوريا الكبرى " و " الهلال الخصيب "[٢]

. إن نيل الاستقلال السياسي، وجلاء القوات الأجنبية قد طرحا أمام الحكومة السورية ضرورة حل عدد من المسائل الوطنية العامة، منها القضاء على بقايا الاستعمار، وإزاحة الاحتكارات الأجنبية، وإنشاء الصناعة الوطنية، وإلغاء النظم والرواسب الإقطاعية، وإشاعة الديمقراطية في الحياة الاجتماعية. غير أن البرجوازية الوطنية، التي ترأست، في المرحلة الأولى، حركة التحرر الوطني، كانت تخشى، بحكم

(١) المصدر نفسه، ص١٠٢ - ١٠٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٣.

إزدواج طبيعتها الطبقية، استمرار اشتداد هذه الحركة [١].

لقد بدا أن السوريين كانوا يودون دفع الأمور مع الفرنسيين إلى الذروة، بوجود الإنجليز، وكانت تتملكهم ذكرى عام ١٩١٩، حيث انسحب الإنجليز تاركين الفرنسيين، ليقضوا عليهم، كما يريدون، ولكن التدخل البريطاني، وكما توقع السوريون، وقد انتهى، على أية حال، إلى تفجرالوضع الثوري، وفي نيسان/ إبريل ١٩٤٦، تم انسحاب جميع القوى من القطر السوري[٢].

قد ظلت " الكتلة الوطنية "، رغم عجزها، المرشح الوحيد لاستلام السلطة، ما بقيت العلاقات بفرنسا تغلب على الدبلوماسية السورية، وما بقي الجنود الفرنسيون يحتلون البلاد، حتى ارتكزت على ادعاءاتها باحتكار الوطنية، فعادت إلى السلطة، إثر انتخابات تموز/ يوليو ١٩٤٣، وانتخب شكري القواتلي رئيسًا للجمهورية، على حين ألف زميله، سعد الله الجابري، وحكومة تمثل فيها الحرس الوطني القديم، تمثيلاً قويًا [٣].

طفقت الأوساط البرجوازية الإقطاعية، التي وصلت إلى الحكم، تقاوم الإجراءات التقدمية، أيًا كانت، لكنه تحت ضغط الحركة الإضرابية المتواصلة، اضطرت الحكومة السورية، في عام ١٩٤٦ إلي شن أول تشريع للعمل، وهو قانون العمل رقم (٢٧٩)، ومع أن القانون لم يحقق الكثير من مطالب العمال، إلا أن إقراره من قبل البرلمان كان انتصارًا

(١) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها.**
(٢) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص٤٥.
(٣) **المصدر نفسه**، ص٤٥ - ٤٦.

كبيرًا للطبقة العاملة السورية. ولكن الميول الرجعية الموالية للإمبريالية أخذت تتبدى بدرجة متزايدة في سياسة (الكتلة الوطنية) الحاكمة [١].

وطفقت السلطات السورية تحد من الحريات الديمقراطية. وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧، فتم حظر الحزب الشيوعي. ولم تطبق أحكام قانون العمل، ولم يحقق الإصلاح الزراعي الضروري، فائق الضرورة للبلد، ولم تتخذ الحكومة أي إجراءات للتغلب على المصاعب الإقتصادية [٢].

القوتلي.. رئيسا لسورية:

بعد إنتخابه رئيسًا للجمهورية، في عام ١٩٤٣، كان سجله الوطني، وصيته الذائع، ومنصبه الحكومي، واجهة جليلة مجيدة، فكانت عاطفته الوطنية فوق الشبهات ولتسامحه مع زلات زملائه، يمكن أن يعتمد عليه [٣].

لقد أبان الفرنسي جاك بيرك، عالم الاجتماع الفرنسي، أن الاندفاعية الوطنية في أي قطر عربي تميل إلى إيجاد تجمع عريض غير متجانس، مثل " الكتلة الوطنية " في سوريا، و " الوفد " في مصر، فقد تآلف رجال بماضي ومشارب متباينة، وراء هدفٍ وحيد، هو الاستقلال، ولكن النجاحات الأولى، سواءً أتت عن طريق التفاوض مع الدولة المحتلة، أو الكفاح المسلح ضدها، كانت تشق هذه التجمعات، لقد كانت الانشقاقات

(١) تاريخ الأقطار العربية، **مصدر سبق ذكره**، ص١٠٣.
(٢) **المصدر نفسه**، ص١٠٤.
(٣) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص٤٦.

الأيديولوجية والشخصية تثور، وتحل التمايزات الحادة مكان الوطنية الأصلية الطوعية[١].

لقد انتخب المجلس الجديد فارس الخوري رئيسًا له، في جلسته الأولى، المعقودة يوم ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٧، وفي اليوم التالي تقدم جميل مردم باستقالة حكومته، ولكنه كُلف، ثانية، بتشكيل حكومة أُخرى، إن المفردات السياسية الرصينة من أمثال كلمات " نائب "، و " معارضة " و " رئيس المجلس " و " لجنة الشئون الخارجية " لم تفلح في منع الفوضى الفاجعة، التي حكمت البرلمان السوري[٢]، وفي " ذكريات نائب " كتب " حبيب كحالة، ما يلي:

" نظرت حولي، وكان ما رأيته فقط.. رجالاً لا يوجد بينهم شيء، ولا يشتركون في أية مبادئ، ولا يربطهم تنظيم حزبي، قد وصلوا إلى البرلمان بأساليب خادعة مقنعة، من انتخابات فوضوية تحت ستار الحرية، فكان بعضهم أميًا، وآخرون أدباء مرموقين، وكانت لغة بعضهم الكردية، أو الأرمنية، ولم يعرف آخرون سوى اللغة التركية فقط، وبعضهم ارتدى الطربوش، وآخرون اعتمروا الكوفية، وكان بينهم رجال البادية، أو المدينة، ولم يزد الأمر عن مسرحية وتمثيل أدوار [٣] ".

وسعيًا إلى إيجاد مخرج من الوضع الاقتصادي العصيب، أعدت الحكومة مشروع اتفاقية مع " شركة التابلاين "، " وشركة نفط العراق "،

(١) **المصدر نفسه**، ص٤٧.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٥٢.
(٣) **المصدر نفسه**، ص٥٣.

بشأن مد خطين لانابيب البترول عبر أراضي سورية، كما أعدت مشروع إتفاقية نقدية مع فرنسا. ولكنها، نظرًا للمظاهرات والاضرابات المستمرة في سوريا ضد الإمبريالية، لم تعمد إلى طرح مسألة عقد هذه الاتفاقيات على بساط البحث أمام البرلمان [١].

في الوقت نفسه، كان الإستياء، والتناقضات تتفاقم في قلب البرجوازية الوطنية نفسها. وفي ١٩٤٧، حدث انشقاق في " الحزب الوطني " الحاكم. وسحب قسم كبير من الحزب ممثليه من الحكومة، وشكل المعارضة البرلمانية. ونشأ في البلد وضع سياسي قلق للغاية[٢].

في الذكرى السنوية الأولى لتصويت الأمم المتحدة، عام ١٩٤٧، على قرار تقسيم فلسطين، اخرج البعث الطلاب إلي الإضراب، وأغلقت الأسواق، وطالب المتظاهرون الحكومة باستئناف القتال، حالاً، مع الدول الأجنبية، وإلغاء مرسوم، صدر مؤخرًا، بزيادة أسعار الخبز، وكان المجلس نفسه في حالة هيجان، حيث تضارب أحمد الشرباتي، وزير الدفاع السابق، مع أحد النواب الآخرين، بينما سُمع رئيس الوزراء، وهو يصرخ مقدمًا استقالته، وخارج المجلس استعمل رجال الشرطة يعززهم رجال الدرك، قنابل الغاز المسيلة للدموع، لتفريق الجماهير، التي هددت باحتلال المجلس بالقوة[٣].

إن فكرة تشكيل " جيش الإنقاذ " كانت فكرة قد تكون طيبة، في

(١) تاريخ الأقطار، **مصدر سبق ذكره**، ص١٠٥.
(٢) **المصدر نفسه**، ص١٠٥ - ١٠٦.
(٣) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٥ - ٥٦.

جوهرها، من قبل الجامعة العربية، لأنها كانت محاولة لدفع الدول العربية، أملتها الحكومات العربية، التي لا ترد أن تدخل الحرب، رسميًا، ولا ترغب أن تصرح برأيها أمام أفراد شعبها العربي، أو هي لا تجرؤ على أن تحارب، وتريد أن تحرر فلسطين، وتري فيها انعكاسات لضعف عزيمة السياسيين، وغموض أفكارهم أو من الواجب أن تقول إن حماس الشعوب العربية لقضية فلسطين كان يتعارض مع تراخي الحكومات العربية [١].

أخيرًا، لم يجد بقية العرب حماسة كبيرة، لمساعدة المقاتلين الفلسطينين، في وقت عرف ممثلو مصر، والعراق، ولبنان، والعربية السعودية، وسوريا، وشرقي الأردن، واليمن، والخبراء العسكريون لهذه الاقطار، المجتمعون في عالية (لبنان)، بتقدير لجنة " اليونسكوب "، حتى قرروا بأن مهمات الدفاع تقع على عاتق الفلسطينين، وحدهم، أما دولهم، فتتعهد يتقديم الأسلحة، وبالسماح للمتطوعين المحتملين بالذهاب للقتال في فلسطين [٢].

أما رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، أنذاك، أمين الحسيني الذي لم يُدع حتي للاجتماع، فدخل مع ذلك عنوة، وطلب من ممثلي الدول العربية دعم مشروع دولة فلسطينية، فقوبل اقتراحه بالرفض الشديد. وفي الختام أوصت لجنة عسكرية، ترأسها اللواء العراقي إسماعيل صفوت، بدعوة

(١) محمد فائز القصري، حرب فلسطين عام ١٩٤٨، الجزء الثاني، مرحلة النضال والجهاد، المطبعة العمومية بدمشق، ط١ نيسان ١٩٦٢، ص٢٣٩.

(٢) إلياس صنبر، **فلسطين ١٩٤٨ التغييب**، ترجمة كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ١٩٨٧، ص١٤٣.

المتطوعين، وتسليحهم، وبحشد القوات عند الحدود الفلسطينية، وتكوين قوة عربية موحدة، وإرسال ١٠٠٠ بندقية، ومليون جنيه إسترليني إلي الفلسطينيين، ومراقبة السواحل للتصدي للمساعدات التي تنهمر على الصهاينة، بيد أن هذه التوصيات بقيت حبرًا على ورق [١].

ثم اجتمع رؤساء وزراء الدول العربية، الأعضاء في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر، وانتهت مناقشتهم، التى دامت عشرة أيام، بإدانة قرار التقسيم، كما اتخذت قرارات سرية بتأمين ١٠٠.٠٠٠ بندقية، ٣٠٠٠ متطوع للجنة العسكرية، التي اجتمعت في عالية، بما يضمن تشكيل " جيش الإنقاذ ". وتم التفاوض مع الحكومة التشيكية لتسليحه، إلا أنها أعلنت في ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧، عن رفضها تصدير الأسلحة، وكان مجموع الأسلحة التي توافرت للمتطوعين قد بلغ في ٢٣ آذار/ مارس ١٩٤٨، ٩٠٠٠ بندقية. هذا هو كل ما استطاعت الدولة العربية، مجتمعة، تأمينه. قدم العراق ٣٨٦٠ بندقية، وشرقي الأردن ١٠٠٠، ومصر ٨٠٠، والسعودية ٧٩٠ وسوريا ٢٠٠٠، ولبنان ٥٥٠، وإلى تباين هذه الأسلحة تضاف حقيقة أنها جميعًا كانت قديمة أو تالفة [٢].

لقد كانت فكرة " جيش الإنقاذ "، لتتخلص الجامعة العربية من هذا الوضع الشاذ، فقد أوجدت فكرة " جيش الإنقاذ " لتحرر به فلسطين، أو لتدخل الجيوش العربية الحرب، بصورة غير نظامية، إرضاء لصداقة بريطانيا، صاحبة " وعد بلفور "، أو دافعًا لكافة الجيوش العربية،

(١) المصدر نفسه، ص١٤٣ - ١٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٤.

لتشترك في الحرب، وتستمد العون من نفوذ بريطانيا، صاحبة الوعد المشئوم (ولكن دون جدوى)، لأن الدول العربية قيدت نفسها، دون إعلان، بقرار هيئة الأمم المتحدة، القاضي بتقسيم فلسطين، رغم تصويتها ضده في العلن [١].

القوات السورية التي اشتركت في الحرب:

١- جيش الانقاذ:

إنشئ في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧، من متطوعين سوريين، ولبنانيين، وعراقيين، وأردنيين، وسعوديين، ويمنيين، ويوغسلاف، وألمان، وإنجليز. وقد تمركز هذا الجيش في المنطقة الوسطى والشمالية من فلسطين، حتى أوائل حزيران/ يونيه ١٩٤٨، عندما عاد وتجمع في الشمال. وتولى قيادته فوزي الدين القاوقجي [٢].

وقد بلغ حجم هذا الجيش نحو ٤ آلاف مقاتل، نصفهم من المتطوعين السوريين، و٨٠٠ فلسطينيين، ومثلهم عراقيين، بالإضافة إلي جماعات قليلة من جنسيات أخرى. ومن الواضح أنه نظرًا لاختلاف الجنسيات في هذا الجيش، فإن تنظيمه، وتركيبه، كان غير متجانس، من حيث الأفراد، والتسليح والتدريب، وأسلوب العمل [٣].

(١) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٤٠.
(٢) **نظرات على انتصارات العسكرية الوطنية المصرية**، الهيئة العامة للاستعلامات، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٧٠.
(٣) **المصدر نفسه**، ص٢٧٠ - ٢٧١.

٢- القوت السورية النظامية:

أرسلت سورية إلى الميدان قوى وحدات جيشها الناشئ: اللواء الأول (١٨٧٦ من الضباط والجنود)، المعزز بـ ٦ دبابات (تعطلت منها اثنتين وهي في الطريق إلى الجبهة)، و٣٢ مدرعة، و١٢ مدفع (٧٥ مم). وتشكلت القوة الجوية السورية من ٤ طائرات تدريب (هار فارد)، وقيل ١٠ طائرات [١].

يشكو الزعيم عبد الله عطفة، رئيس الأركان السوري السابق، في مذكرة قدمها إلى رئيس الحكومة، جميل مردم بك، بتاريخ ١٨ تموز/ يوليو ١٩٤٨، من الترتيبات الإدارية التي فرضها وزير الدفاع المستقيل، أحمد الشرباتي، على وزارة الدفاع، بموجب مرسوم اشتراكي صدر في السادس من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٦، تأسست بموجبة ١٣ مديرية في الوزارة[٢].

يضيف عطفه: " وكل هذه المديريات مستقلة بسلطة موحدة، من قبل الوزير، لتنسيق أعمالها، وارتباطها مع بعضها، ولم يكتف المرسوم بفصل المصالح عن الأركان، وجعل رئاسة الاركان كإحدى، هذه المديريات الثلاث عشرة، بل مُنح وزير الدفاع جميع الصلاحيات التي تعود إلي قيادة الجيش، وبذلك سلب رئاسة الاركان كل سلطة ونفوذ [١].

---

(١) وليد الخالدي، **خمسون عامًا على حرب ١٩٨٤، أول الحروب العربية الصهيونية**، دار النهار، بيروت، ط١، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٨، ص٤٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٤٢ - ٤٣.

(١) **المصدر نفسه**، ص٤٣.

قرار الحرب النظامية (عربيًا) :

حينما أعلن ملك شرقي الأردن، عبد الله بن الحسين، أنه سيدخل فلسطين مقاتلاً، تنفست الدول العربية الصعداء [١].

في الأسبوع الأول من آيار/ مايو، وبعد إلحاح من اللجنة السياسية للجامعة العربية (التي اتخذت قرارا بغزو فلسطين فور انتهاء الانتداب في ١٥ مايو)، اجتمع رؤساء أركان الجيوش العربية، في دمشق وأقروا خطة الغزو، وكان الملك عبد الله قائدًا للجيوش العربية، لكنه كان منصبًا صوريًا [٢].

ففي الواقع، عزم كل جيش على أن يعمل وفق مصالحة الوطنية، وأن يتلقى الأوامر من قيادته العامة. والحقيقة أن الخطة لم تتجاوز تنسيق الهجوم، وتقسيم فلسطين إلى أقسام تحتلها الجيوش العربية، كل ما فيها يخصه. فكان على اللبنانيين أن ينطلقوا بطول الساحل الشمالي نحو نهاريا، وعلى السوريين أن يعبروا إلى شمال بحر الجليل وجنوبه، والتقدم نحو سمخ بهدف إحتلال الجليل، وكان على العراقيين أن يعبروا نهر الاردن، وجنوبي بحر الجليل، والتحرك خلال المثلث العربي، والتقدم نحو نتانيا، على ساحل البحر المتوسط، لشق الدولة اليهودية إلى قسمين[١].

---

(١) خيرية قاسمية، **مذكرات فوزي القاوقجي «١٨٩٠ - ١٩٧٧»**، ط٢، ١٩٩٥، ص٣٣٢.

(٢) حاييم هرزوج، **الحروب العربية - الإسرائيلية ١٩٨٤ - ١٩٨٢**، ترجمة بدر الرفاعي، ط١، ١٩٩٣، سينا للنشر، القاهرة، ص٥٢ - ٥٣.

(١) **المصدر نفسه**، ص٥٢ - ٥٣.

إرهاصات دخول الحرب:

وجه " شكري القواتلي "، رئيس الجمهورية السورية، الأنظار، في اجتماع دعا إليه، يوم ١٣ آيار/ مايو ١٩٤٨، إلى ضرورة الالتزام بخطة دخول الجيش السوري إلى فلسطين، من اتجاه بنت جبيل، نحو الناصرة، ثم العفولة، حيث يلتقي بالجيش العراقي في جنين، لعزل كافة المستعمرات الإسرائيلية الواقعة في الغور[١].

لكن الملك عبد الله أصر على أن يدخل الجيش السوري إلى فلسطين من منطقة سمخ، وطبرية، رغم وقوع الكثير من الاستحكامات المعادية، المرتكزة على تحصينات خط إيدن المنيع، على هذا الاتجاه، وما يترتب على ذلك من صعوبة التوغل داخل الجليل الشمالي[٢].

إضطر السوريون للرضوخ، فأقتحم العقيد عبد الوهاب الحكيم منطقة مليئة بالتحصينات، ليهاجم سمخ، طبقًا للخطة الجديدة[٣].

الاستعداد على الجبهة الإسرائيلية:

ناقشت القيادة الإسرائيلية، مسألة وجوب إعلان الاستقلال، في ١٤ آيار/مايو، موعد الانسحاب البريطاني، ومورست ضغوط شديدة على ممثلي اليهود في واشنطن، وفي كل مكان آخر، لتأجيل ما يمكن أن يكون عملاً متهورًا، وتحاشي دفع الجيوش العربية لخوض حرب، لكن بن

(١) لواء حسن البدري، **الحرب في أرض السلام، «الجولة العربية الإسرائيلية الأولي ١٩٤٧ - ١٩٤٩»**، دار الوطن العربي «القاهرة - بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة - بيروت»، ١٩٧٦، ص٢٧٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٧٧.

(٣) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

غوريون الذي كان يرأس، في ذلك الوقت، ما يعرف، بمجلس الشعب، (الذي أصبح، فيما بعد، حكومة إسرائيل المؤقتة)، قرر أنه ينبغي استغلال الفرصة التاريخية التي أتيحت. انتصرت وجهة نظره على معارضيه، في المجلس، وفي يوم الجمعة، ١٤ أيار/ مايو، جمع بن غوريون المجلس المؤقت (الذي سيصبح الكنيست، أو البرلمان، فيما بعد) بالمتحف البلدي لتل أبيب، بشارع روتشيلد (وكانت القدس، بالطبع، محاصرة، ومعزولة تمامًا) [١].

أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية، في فلسطين، وأسماها " دولة إسرائيل ". وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، أذاع على الولايات المتحدة، أثناء حديث له صوت طائرة مصرية، وهي تقصف تل أبيب، حيث كان الصوت واضحًا للغاية[٢].

بعد رفض العرب لفكرة إقامة دولة عربية على جزء من فلسطين تكتلوا من أجل " تدمير " دولة إسرائيلً [٣].

بدء المعركة السورية :

بدأ السوريون هجماتهم، في ١٤آيار/ مايو، بقصفٍ شديدٍ بالمدفعية على المستوطنات الواقعة جنوب الجليل، وعلى مستوطنة عين جيف، وكانت الوحدة الوحيدة باستثناء " الفلاحين* "، المتاحة للدفاع عن المنطقة، هي الكتيبة الثانية من لواء " جولاني "، كتيبة واحدة عليها أن

(١) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص٥١.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٥١ - ٥٢.
(٣) **المصدر نفسه**، ص٥٢.
(*) المقصود المستوطنين اليهود.

تتولى الدفاع عن وادي الأردن الأعلى، في مواجهة جيشين عربيين**، والأسوأ من ذلك، أن إحدى سرايا الكتيبة مكلفة بمهام أخرى في منطقة (جبل طابور)، على مسافة ما يقرب من ٢٠ ميلاً إلى الغرب[١].

كان الهدف الأول لقوة الهجوم السوري، والمؤلفة بالأساس من لواء مشاة، تدعمه سرية دبابات، وكتيبة عربات مدرعة، وفوج مدفعية، هو قرية سمخ حيث قامت اثنتان من سرايا المشاة باحتلال معسكر مهجور جنوبي القرية، بينما توجهت قوة مختلطة من المدرعات والمشاة نحو مستوطنتي شاعر هجولان ومسادة، وبعد معركة يائسة، توقف الاندفاع السوري الأول، ولكن بعد إبادة جميع أفراد القوة المدافعة، باستثناء فرد واحد•[٢].

لجأ المستوطنون إلى الحيلة، لكي يصيبوا السوريين بالحيرة، والارتباك، ويكسبوا الوقت اللازم لاجلاء الاطفال والنساء عن المنطقة. إذ قاموا بحشد جميع لورياتهم وجراراتهم، تصعد الجبل، غربي بحر الجليل ليلاً، وهي مطفأة الانوار، ثم تعود، وهي مضاءة. وتكررت العملية على مدى عدة ليال، لخلق الانطباع لدي السوريين، بتدفق النجدات[١].

(**) اصطلح الصهاينة كلمة جيش، على القوات العربية الرمزية المشاركة في الحرب، لحشد رأى عام متعاطف معهم.

(١) **المصدر نفسه**، ص٥٦.

(•) لم يذكر الكاتب عدد القوة المدافعة، أغلب الظن لتهويل الخسائر على الجانب الصهيوني.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٥٦ - ٥٧.

(١) **المصدر نفسه**، ص٥٧.

يؤكد الزعيم عبد الله عطفه، رئيس الأركان السوري، آنذاك، أنه نصح حكومته، ألا تورط جيشها في حرب، لقلة السلاح والرجال، مما لا يصح معه خوض حرب، فيما يؤكد العقيد عبد الوهاب الحكيم، قائد اللواء السوري في فلسطين، أن قواته لم تكن مستعدة للحرب، وكان ينقصها الرجال والعتاد والتدريب[١].

في ١٨آيار/ مايو، قام اللواء السوري الأول، بقيادة الزعيم (العميد) حسني الزعيم، الذي قدر له بعد ذلك بعام، أن يقود عددًا من الانقلابات العسكرية بسوريا، بهجومٍ (حاسمٍ) على سمخ، وحاول المدافعون المسلحون برشاشين ٢٠ مم (م / د) أن يتصدوا لهجوم بحوالي ٣٠ سيارة مصفحة، ٤ دبابات (رينو) تولت قصف مواقع الهاغاناه، وأصابتها، إصابات مباشرة، وفي الوقت نفسه قامت قوة مشتركة من المشاة والمدرعات الإسرائيلية بتطويق سمخ[٢].

عندما تعطل أحد المدفعين المضادين للدبابات، بفعل القصف السوري، ترك جزء من القوة موقعة، وانسحب من سمخ، مخلفين ورائهم عددًا من القتلى، حيث أُبيدت معظم القوة المدافعة، في آخر الأمر. وبذلك نجحت القوة السورية في فتح الطريق إلى وادي الأردن، وبدا الموقف بالنسبة للمستوطنين الإسرائيليين، والقوات المدافعة عن المنطقة مئوسًا منه. وأصبحت قريتا دجانيا (أ)، ودجانيا (ب)، هي الخط الدفاعي[١].

(١) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص١٢٠.
(٢) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٦ - ٥٧.
(١) **المصدر نفسه**، ص٥٧.

بدأ الهجوم العربي منصبًا على دجانيا (أ)، التي بلغ إجمالي المدافعين عنها ٧٠ رجلاً، واستخدم في الهجوم سرية مشاة، يتقدمها خمس دبابات، ووحدة عربات مدرعة. وفتحت العربات المدرعة النار، بهدف إبادة المدافعين، وتوفير غطاء من النيران للمشاة. بينما أطلقت الدبابات نيران مباشرة على معاقل المدافعين، ومواقعهم، لإجبارهم على الخروج منها، ومن خنادق المواصلات. وأصيبت إحدى العربات المدرعة السورية، كما أصيبت دبابة رينو، وأنسحبت القوات السورية، لكن الهجوم استمر، وأصيبت دبابة القيادة، لكن مدفعها ظل يطلق نيرانه، حتى دمرته عبوة مولوتوف أخرى[١].

عند منتصف النهار، انسحب السوريون من دجانيا(أ)، بعد أن خسروا سيارتين مدرعتين أخرتين، وانتقلوا بالهجوم على، دجانيا (ب) [٢].

جاء الهجوم على دجانيا(ب) بـ ٨ عربات مصفحة، و٣ دبابات، وتقدمتها هذه المرة سريتان من المشاة. ونجح الإسرائيليون في وقف تقدم المشاة، ومرةً أُخرى تقدمت قوة مدرعة سورية كبيرة، يساندها المشاة، لكنها ردت على أعقابها[٣].

في ٢١ آيار/ مايو شن اللواء الإسرائيلي/ جولاني هجومًا مضادًا، لاستعادة سمخ، وبعد قتالٍ بالغ العنف، أجبر السوريون على إخلائها، ثم احتل لواء جولاني كلاً من مسادة، وشعار هجولان. وإزاء هذا الفشل،

(١) المصدر نفسه، ص٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٨ - ٥٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٩ - ٦٠.

قامت القيادة السورية بتغيير قائد القوات في فلسطين، وعينت مكانه الزعيم (العميد) حسني الزعيم، الذي قام بإعادة تقدير الموقف، وتوزيع قواته التي وحدها، يوم ١١ حزيران/ يونيه، لتتمركز في منطقة الغور، وجناحها الجنوبي مكشوف تمامًا، ومعرض للهجمات، الإسرائيلية بعد إنتقال الجيش العراقي من منطقة العفولة الإسرائيلية، إلي منطقة نابلس[١].

كان ذلك مع ظهور أول مدفعية إسرائيلية، وقد كان تأثير قذائفها الأولي على السوريين (الذين كانوا حتى تلك اللحظة، يحتكرون استخدام المدفعية في ميدان المعركة) فوريًا، إذ انسحب السوريون، تاركين سمخ وشعار هجولان ومسادة التي أعادت القوات الإسرائيلية، احتلالها على الفور[٢].

حسم الإسرائيليون معركة وادي الأردن، في ٢٣ آيار/ مايو، ولم يحاول السوريون، على الإطلاق، دخول فلسطين، مرةً أخرى، من جهة الجليل الأردني، وبدلاً من ذلك وجهوا مجهودهم الرئيسي نحو الشمال، عند منطقة مشمار هايردين، وذلك بهدف قطع الإمدادات[٣].

في يوم ١٠ حزيران/ يونية، قامت كتيبة سورية، مدعمة بالمدفعية، بمهاجمة عين جيف، المعزولة، على الشواطئ الشرقية لبحر الجليل*، والتي كانت قوة الدفاع عنها مؤلفة من مائة من المقاتلين والمقاتلات

(١) تاريخ الأقطار، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٧٨.
(٢) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص٦٠.
(٣) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

المسحلين. كان الهجوم على ثلاثة محاور. لكن المدافعين أمكنهم صد الهجوم، وقد أسفر الهجوم عن خسائر في الأرواح على الجانب الإسرائيلي[١].

بعد نجاح القوات السورية في إكمال هذا الهجوم، عمدوا إلي السيطرة على شمالي بحيرة طبرية، قبالة مستعمرة، مشمارهايردين، التي اقتحمتها، قبل الهدنة بيوم واحد، واقامت رأس جسر غربي النهر، واحتفظت بها الي نهاية الحرب، على الرغم من محاولات إسرائيل المتكررة لاسترداد هذه المستعمرة[٢].

لعل ذلك ما جعل الأُمم المتحدة تتبني خيار الهدنة، لكبح هجوم سوري متوقع، ولإعطاء إسرائيل مزيدًا من الوقت، لترتيب أوراقها، لتتمكن من صد أي هجوم مضاد متوقع من قبل الجيوش العربية، و " جيش الإنقاذ ".

بحيرة طبرية... الجبهة الشمالية:

يعتبر الهجوم الذي شنه السوريون على منطقة الأردن - بيسان العليا، أكبر هجوم عربي على منطقة تجمع استيطاني يهودي كثيف. وهناك ثلاث مزايا تكتيكية وراء اختيار السوريين لمفتتحٍ كهذا: الأول، وجود المرتفع المتحكم في ميدان المعركة، المخطط لها داخل حدودهم، والثاني أن عددًا من المستوطنات الزراعية اليهودية يقع شرقي نهر الاردن، الأمر الذي لا يستدعي عملية خاصة لعبور النهر، يبقي الأمر الثالث،

(١) **المصدر نفسه**، ص٦٢ - ٦٣.
(٢) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص٦٢ - ٧٤.

مؤداه أن اختراقًا في تلك المنطقة يمكن القوات السورية من الاتصال بالأهالي العرب في الجليل، حول مدينة الناصرة العربية[١].

كما أن هذا يمكن من إقامة قاعدة صلبة، ونقطة انطلاق نحو حيفا، وهو ميناء رئيسي، وأحد نهايات خط أنابيب البترول القادم من العراق إلي البحر المتوسط[٢].

لخص بن غوريون، في ختام اجتماعه مع القادة العسكريين، في ١٨ حزيران/ يونية، خطة الهجوم العام، ومركز ثقله، بقوله: " يجب تثبيت الجبهتين في الشمال والجنوب، بقدر الإمكان وإعداد خطة لتحطيم (الفيلق) (أي الجيش) الأردني. واحتلال نابلس إلا أن بن غوريون عاد، كما يذكر في " يوميات الحرب "، بتاريخ ٤ تموز/ يوليو، فأدخل بعض التعديل في هذه الخطة، بحيث أصبح احتلال مدينتي اللد والرملة، المرحلة الأولي وبعدها نتفرغ، كما يقول بن غوريون، للطرون، تمهيدًا لاحتلال رام الله، وبعدها نابلس، على أن يتزامن مع هذا هجومان في الجبهة الشمالية: أولهما باسم عملية بروش، لتصفية رأس الجسر السوري، عند مشمارهايردين، والهجوم الثاني باسم عملية ديكن، لتصفية جيش الإنقاذ، بقيادة فوزي القاوقجي، في الجليل الأوسط، الذي كانت قاعدته مدينة الناصرة[١].

تضمنت عملية بروش معاودة إقامة جسر على نهر الأردن، وعبور

(١) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٤.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٥٥.
(١) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص٩٠ - ٩١.

النهر بالقوارب والأطواف، وصعود الجولان، لقطع الطريق إلى القنيطرة، على القوات السورية، غرب النهر. واستمرت معركة عنيفة ضارية، خلال أربعة أيام من (١٠: ١٣ تموز/ يوليو)، فشلت جميع محاولات الجيش الإسرائيلي لاسترداد مشمارهايردين، أو صعود الجولان، على الرغم من إرساله لقلاع طائرة، كما يذكر التاريخ الرسمي الخاص به، لقصف رأس الجسر السوري[١].

بعد فشل القوات الاسرئيلية في الاستيلاء على بيت الجمرك، قبل طلوع الشمس، صدرت الأوامر بالانسحاب إلى الضفة الغربية، وألغيت خطة تطويق المواقع السورية[٢].

في الفجر، شنت القوات السورية هجومًا مضادًا ساندته الطيران بقوة. في الوقت نفسه، قام اللواء السوري المتمركز فوق المرتفعات الواقعة، شرق النهر، بمهاجمة القوات الإسرائيلية، التي كانت لا تزال على الضفة الشرقية. وليومين متتاليين، ظلت تلك القوات تقاوم الهجمات السورية، قبل أن تجري عملية الانسحاب إلي الضفة الغربية[٣].

دار قتال عنيف، حول عدد من المواقع بالمنطقة، ووقعت إصابات كثيرة، عندما تقدم السوريون لتهديد مناحيميا، وروش بينا. وعلى مدي يومين، دارت الحرب سجالاً بين الطرفين، وهناك بعض المواقع تبادلتها الأيدي لأربع مرات، وفي ١٤ تموز/ يوليو، قامت قوات ماكليف الإسرائيلية بمحاولة أُخري ضد رأس الجسر، على السوريين من جهة

(١) **المصدر نفسه**، ص٩٢ - ٩٤.
(٢) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص٩٠.
(٣) **المصدر نفسه**، ص٩٠ - ٩١.

الجنوب هذه المرة، لكن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى[١].

عندما بدأت الهدنة الثانية، بعد تسعة أيام من القتال، كان الجيشان المنهكان، في موقف بالغ الحرج، يواجه أحدهما الآخر، من نفس المواقع التي انطلقت منها الهجمات المتتالية قبل عشرة أيام من هذا التاريخ[٢].

عندما تحركت جيوش العرب النظامية، لإنقاذ فلسطين من براثن الصهاينة، بدأت المرحلة الثالثة للحرب، التي تمتع فيه العرب بالمبادأة، لمدة ٢٧ يومًا، تمكنوا خلالها من شن ١٩ معركة، ما بين هجوم أو إحباط ضربة مضادة، وإن تمت جميعًا بلا تنسيق، أو تعاون إستراتيجي بين جبهاتهم المختلفة، أو حتي تعبويًا في الجبهة الواحدة. ثم أصدر مجلس الأمن قراره، بفرض الهدنة الأولى على المتحاربين فتحولت المبادأة عن العرب، وظلت مع إسرائيل حتى نهاية الجولة[٣].

فيما يتعلق بحجم الإنجاز، نجد أن العرب قد حرروا ألفي كيلو متر مربع من أرض فلسطين فقط، خلال المرحلة الثالثة، في حين اغتصب الإسرائيليون ١٠ آلاف كيلومترًا مربعًا، في المرحلة الرابعة فكان حجم إنجازها يزيد عن العرب، خمس مرات[٤].

نجح الإسرائيليون في حشد نحو ٢٠٠ مثل ما حشده العرب للقتال، في بداية الجولة الأولي، أما في مراحلها المتقدمة، والختامية، فكانت النسبة أسوأ من ذلك بكثير[١].

---

(١) **المصدر نفسه**، ص٩١.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٩٢.
(٣) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٩ - ٨٠.
(٤) **المصدر نفسه**، ص٨٠.
(١) **المصدر نفسه**، ص٨٣.

بين القوات العربية والاسرائيلية [1] :

السمة الواضحة كانت امتلاك إسرائيل لنظرية قتال وأسلوب عمل مستمد من خبرة طويلة لأغلب جنودها، سبقت في مسارح الحرب العالمية الثانية، ومعرفة بفوائد المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة، وذلك بفضل اشتراك الفيلق اليهودي، مع الجيش الثامن البريطاني، في مسرح بريطانيا، وتجنيد الكثير من اليهود، في مختلف جيوش الشرق والغرب، وخاصة في مسرح روسيا، فما أن وضعت هذه الحرب أوزارها، حتي سارعت إسرائيل إلي تطوير ما اكتسبه جنودها من خبرات، لتناسب ظروف القتال في مسرح فلسطين، وبالإضافة إلي ذلك، فقد كانت إسرائيل تمتلك، أيضًا خطة عمل، تم رسمها مبكرًا، وحددت فيها الأهداف المنشودة، بدقة، ووضوح. أما العرب، فلم تكن لديهم نظرية قتال متفق عليها، ولا أسلوب عمل موحد بينهم، يلائم خصائص القتال في أرض المعركة أو الأحوال السائدة فيه، كما لم يكن لهم هدف واضح.

عادت الهزيمة العربية في حرب ١٩٤٨إلي جملة من الأسباب، في مقدمتها:

الفقر في القيادات المشرفة على الحرب، وصعوبة المواصلات، والنقص في السلاح، والذخيرة، والخدمات الطبية، فضلا عن افتقار الجيوش العربية إلي قيادة مركزية موحدة، فعالة، بل أن التنسيق بين هذه الجيوش كان غائبًا في الأغلب الأعم. أما القوات الإسرائيلية فتمتعت بالعمل على خطوطها الداخلية، ما مكنها من التنسيق بين الوحدات

(١) لمزيد من المعلومات يرجي الرجوع لكل من: سيل والقصري، **مصدران سبق ذكرهما**.

المقاتلة، مع تطور القتال، بحيث أمكنها تحريك الاحتياطي من منطقة لأخرى.

أما السياسيون العرب، فقد ألقوا خطبًا عصماء وعنترية، ضللوا بها الشعب العربي، ووعدوه بنصر قريب، إلا أن الحرب كشفت عن افتقارهم إلي الاستعداد، السياسي، والعسكري، في آنٍ، ناهيك عن اتسام العلاقات العربية - العربية، بالتعارض والتردي.

* * *